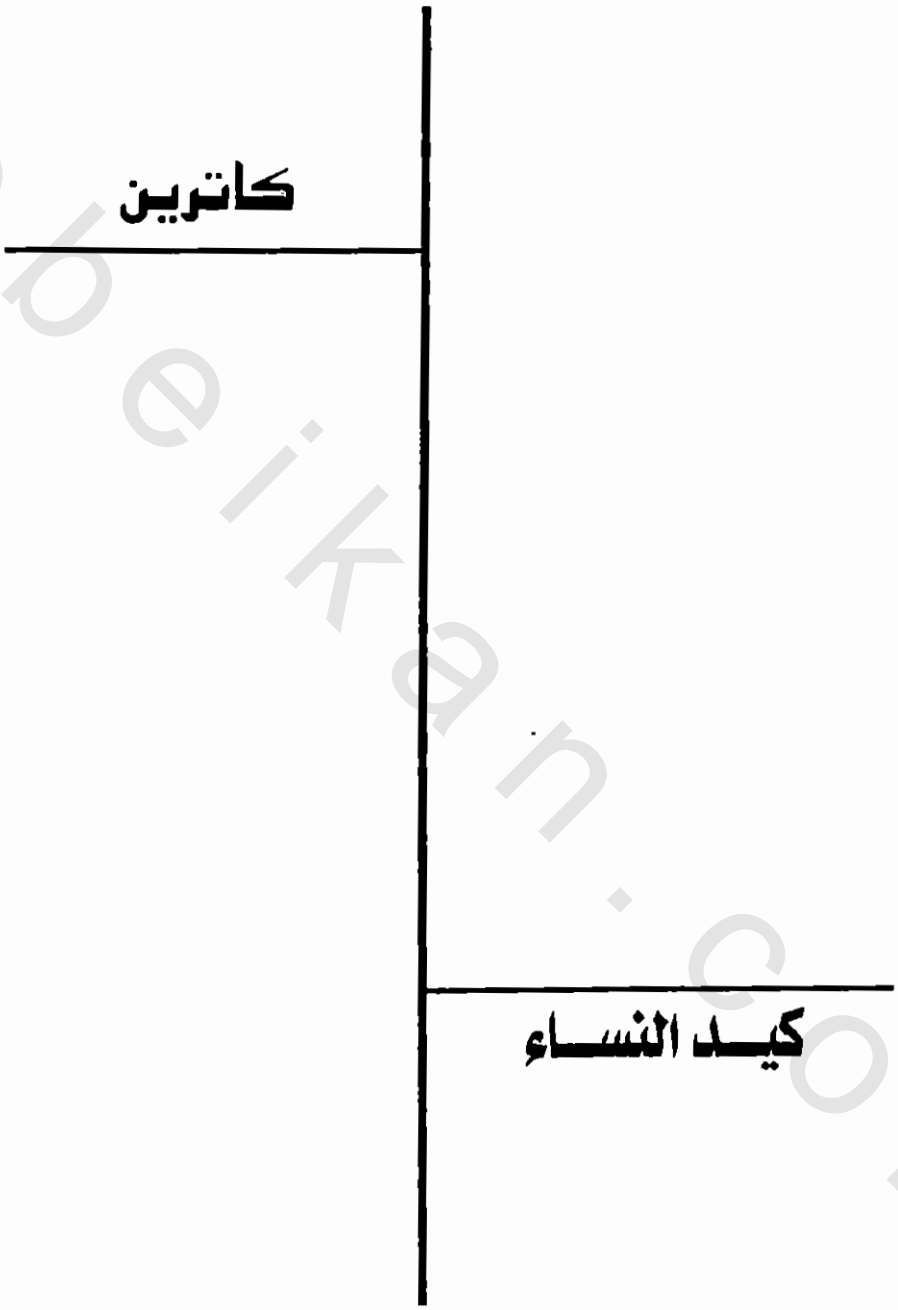

obeikan.com

obeikan.com

كاترين

زوجة القيصر التي قتلته

ثلاث محاولات لاغتيال القيصر تفشل ولكن المرة الأخيرة كادت تنتهى فيها حياة الإمبراطورة كاترين التي كانت تدبر هذه المحاولات فقد انكشفت المحاولة الأخيرة بالصدفة وكان وراء انكشافها أحد الجنود الأغبياء الذي سأل ضابطا لم يكن مشتركا في المؤامرة من موعد مهاجمة القيصر وانطلق الضابط ليبلغ الإمبراطور بالأمر ولم يكن أمام الإمبراطورة وسيلة سوى الهرب إلى بطرسبورج فقد كانت الخطة تقتضى الخلاص من الإمبراطور بطرس الثالث قيصر روسيا وزوج الإمبراطورة في قصر بترهوف وكانت الخطة مهاجمة الإمبراطور على الطريق بين قصر أورينابوم وقصر بترهوف .

كان قائد الانقلاب قد أعد خطة للهرب إذا انكشفت المؤامرة فأسرع إلى الإمبراطورة ليخبرها بما يحدث ويعربها إلى بطرسبرج حيث كانت العربة في انتظارها وأثناء سيرهم مسرعين تكسرت العربة وكادت الإمبراطورة تلقى حتفها وحتى مع نجاتها من السقوط فإن عدم وصولها إلى بطرسبورج بسرعة سيلحق بها رجال الإمبراطور ويطاح برأسها ورأس (الجنرال الكس أوربوف) قائد الانقلاب ورجاله .

لمح ألكس فلاحا يقود عربة بها أوساخا ينقلها إلى أرضه فحمل الإمبراطورة بسرعة وألقى بها على العربة وقذف بالفلاح في الأرض وانطلق بالعربة ، بينما الإمبراطورة تجلس فوق الأوساخ (روث الماشية) تفكر في حيلة لإنقاذ رقبتها أو للخلاص من القيصر ووصلت العربة إلى القصر ورأى الجنود الإمبراطورة فوق العربة وقد علقت الأوساخ بجسمها وملابسها فأصابتهم الدهشة فهبطت بينهم وهي على هذه الحال وأذرفت الدموع غزيرة والكلمات تخرج من بين شفتيها بصعوبة قائلة

تخاطب الجنود: إن القيصر حاول اغتيالها لكنها هربت منه لتلجأ إليهم لحمايتها من ظلم الملك وطغيانه وأخذت تستعطفهم وتمجدهم حتى انطلقت الهتافات من بين شفاههم مدوية بتحية الإمبراطورة وسقوط الإمبراطور، وهو ما شجعها لأن تتقدم إلى قائد الحرس (فيلبوس) لتسأله في حزم عما ينوى أن يفعله.

لم يجد قائد الحرس ردا سوى أنه طوع أوامر جلالتها لتنتهى بالحيلة المؤامرة التي عجزت الأسلحة والجنود أن تفعله ثلاث مرات، وأصبح الجيش وترسانات الأسلحة الرسوبية الضخمة والعاصمة بيد الإمبراطورة.

كان القيصر لا يزال في بترهوف وعلم بما فعلته الإمبراطورة واستيلائها على العرش فأخذ يضرب رأسه بالحائط.. فهو لم يعد إمبراطورا ونصحه المقربون بأن يرسل إلى كاترين معترفا بخطئه ويطلب منها مشاركتها في الحكم، وجاءه الرد سريعا مع ألكس أورلوف مندوب الإمبراطورة بكتابة إقرار صريح بعدم صلاحيته للحكم وتنازله طواعية ومختارا عن العرش.

لم يكن أمام الإمبراطور حلٌّ آخر وهو يرى أليكس في الغرفة وفى يده سيفه سوى التنازل عن العرش، أعطى أليكس الإقرار الذي لم يكتف به لكنه أخذ القيصر أيضا إلى قصر روبكا ليغلق عليه الأبواب (سجينا).

ترى هل اكتفى أليكس بالإقرار وسجن القيصر؟

كانت لديه أوامر من الإمبراطورة بالخلاص من الإمبراطور فذهب إليه أليكس في محبسه ليشرب معه نخبا ويحدثه عن ندمه وزوجته على ما حدث وأخذ القيصر بعب من الفودكا التي كان لا يعلم أن بها سم الزرنيخ، وسقط القيصر على الأرض يتلوى من الألم وأخذ أليكس

يضغط على رقبته ووضع قطعة قماش في فمه .

في العاشر من يوليو ١٧٦٣م أعلنت الإمبراطورة كاترين الثانية قيصر روسيا رحيل الإمبراطور وجاء في ذلك الإعلان: "شاءت إرادة الله القدير أن يتوفى القيصر بطرس الثالث في نوبة مرض شديدة كان يلزمه منذ زمن طويل ودعت له بالرحمة وللشعب الروسى بالصبر والسلوان في مصابه العظيم بموت القيصر".

ذهبت قيصر روسيا الجديد كاترين إلى غرفتها وعلامات الحزن والأسى مرتسمة على وجهها وجلست تسترجع سنوات عمرها الماضية حين زوجتها أمها إمبراطورة النمسا وأختها الإمبراطورة إليزابيث بابنها الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرين "بطرس" وظلا منذ ذلك الحين غريبين فلم يعرفا معنى الحياة الزوجية .

كان حديثا قد دار بين كاترين والقيصر العجوز بعد تسع سنوات من الزواج حيث قالت لها حينها: "وماذا بعد يا كاترين؟ إنك لم ترزقى إلى الآن بولى العهد؟ من المسئول عن عدم الإنجاب؟

وردت كاترين أنها على أى حال ليست المسئولة عن ذلك ، وكانت القيصر تعرف ذلك وأخبرتها أنها تعرف أن ابن أختها عاجز وأنه السبب في عدم الإنجاب ، لكن أين يذهب كل ذلك الملك إذا لم يكن هناك وريث للعرش".

إن المستقبل أصبح مظلما فإن لم يكن بطرس غير قادر على الإنجاب فإن بإمكانك البحث عن آخر يغطى ذلك العجز الذي سيتسبب في ضياع عرش روسيا .

أصبح مع الأميرة تصريحا بالبغاء الذي لا تخلو منه تلك القصور فأخذت تبحث عمن تعاشره من رجال القصر وقربت الكثيرين منها وخاضت التجربة مع معظمهم حتى اختارت الجنرال الشاب ألس

أورنوف لكنه لم يكن وحده الذي ترعى بين ذراعيه حتى أنجبت وريث العرش، ولم تستيقظ من شريط ذكرياتها إلا في رحلتها بعربة السباخ وروث الماشية.

عادت كاترين لتواصل رؤية شريط الذكريات فعرضت في مخيلتها تلك الليلة التي كان يحتفل فيها القيصر بطرس الثالث زوجها بعد اعتلائه العرش بقصره في بيترهوف وكان المدعوين من السفراء والسلك الدبلوماسي وكبار رجال الدولة.

لكن القيصر تركهم جميعا وجلس يحتسي الخمر مع بعض الصعاليك وخدم القصر، بينما الإمبراطورة تقف في شرف استقبال الضيوف الذين لاحظوا غياب القيصر الذي يشاهدونه وهو يجلس مع هؤلاء الصعاليك دون أن يقوم لتحية ضيوفه، فذهبت إليه تطلب منه الحضور لاستقبالهم والترحيب بهم، لكن الخمر كانت قد لعبت برأسه فحمل الكرسي من أمامه وقذف به في اتجاه الإمبراطورة وأمطرها بسيل من الشتائم والسباب ليخيم الصمت على القاعة، بينما هو مستمر في سبابه للإمبراطورة التي اتهمها بأنها أعطت لنفسها الحق في توجيه القيصر وهي الألمانية الحمقاء، وتوعدها بأن يجعلها تقدس زوجها حين تستعطفه من خلف القضبان تطلب منه الغفران.

لكنها ردت عليه في تحد أنه لا يستطيع ذلك وهو ما جعله يجرد سيفه من غمده وهو ينطلق إليها، ورغم ذلك وقفت ثابتة ولم تتحرك بل قالت في سخرية:

إذا كنت تريد المبارزة فأنا بحاجة إلى سيف.

استقر الحكم للإمبراطورة كاترين العظمى كما ثبت وسعت هي منذ بداية ولايتها للإمبراطورية أن تحيط نفسها بمهابة وكانت تؤمن "بأن على الملوك والملكات أن يسيروا في أحكامهم دون الاهتمام بصيحات

الشعوب كما لا يعبأ القمر بنباح الكلاب"، وحتى تثبت جدارتها باللقب أحدثت إصلاحات عديدة بالإمبراطورية حيث أقامت المدارس والمستشفيات وترسانات ومصانع وفتحت المجال للتجار بعد أن اكتسحت الأراضي التركية العثمانية وبعض دول أوروبا كبولندا وغيرها، أما على مستوى حياتها الشخصية فقد كانت متقلبة المزاج تغدق الأموال على من يتقرب منها من الجنرالات الشباب قبل أن تتخلص منهم ولا تهتم بصراخ العامة من الضرائب التي أثقلت كاهلهم لكنها حين تجلس إلى نفسها تعترف بذنبها ودورها السيء طوال حياتها وأنها تشعر أن الشعب لا يحبها.

* * *